عنوان المداخلة : **مقولة الشعرية في مدونة "منهاج البلغاء وسراج البلغاء" لحازم القرطاجني**

أ/بوربونة فاطمة الزهراء

جامعة جيجل

توطئة :

يعد أبوالحسن حازم القرطاجني (ت687هـ)من النقاد الذين كان لهم إسهاما عريضا في مجال البلاغة والنقد , وتحـديدا في مدونته المعنونة بـ " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " , ولأننـا سنتناول في هـذه الدراسة مـقولة "الشعرية " من خـلال تأسيسه لما يسمى بنظرية التخييل أو المحاكاة , ومدى تأثيرها على الدراسات الأدبية الأخرى , فإننا سنحاول استنطاق بعض النصوص التي تشير إلى ذلك لنجد مفاهيمها أقرب إلى الفلسفة منها إلى الأدب مقدمين بعض التساؤلات والإشكالات منها :

1)- ما مفهوم "الشعرية" عنده ؟ وما علاقتها بالخيال أو التخييل ؟

2)- ماهي مقومات الشعر التي تحدث عنها في مدونته ؟

3)- انتقاء بعض المصطلحات النقدية والأدبية المحيطة بالشعرية,لمعرفة إلى أي مدى تحققت نظرته للشعرية أثناء ربطها بالمبدع –النص –والمتلقي ...

انطلق حازم القرطاجني من تعريفه للشعر تعريفا علميا بقوله :"**الشعر كلام مخيل موزون ,يختص في**

لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك والتئامه من مـــقدمات المخيلة صادقة كانت أو كاذبة لا يشترط فيها – بما هي شعر– غير التخييل"(1)

يخـصص هذا الـكاتب لفكرة المحاكاة أو التخييل الذي جاء بها أرسطو وغيره , لكلام العرب الموسوم بالشعرية المـــطلقة انطلاقا من نظمهم لمادة الشعر, ابتـداء من أنه موزون مقفى فهو مخيل , من باب أن التخييل هو العنصر الأساسي للمبدع والمتلقي نظرا للطاقة التي يستمدها كل منهما عن طريق حسن عرض الصورة وقوتها الإبداعية , مشكلة من النظم أساسا لها ..وهو هنا "يقترب كثيرا من معنى الشعرية العام والذي يتمثل في صياغة قوانين الأدب مستفيدا من نصوص الفلاسفة السابقين ....وخاصة أثناء حديثه عن طبيعة العبارة الشعرية , والتي هي في الأساس مجموعة من الألفاظ تنتج بشكلها ما يـسمى بالمعنى ..ذلك أن الشعر هو جودة التأليف وحسن المحاكاة "(2)

وإذا عدنا إلى الأصول الأولى للشعرية في تراث الغرب , نجد أرسطو في كتابه "فن الشعر" يضع أسسا كثيرة لهذا الفن بحسب التوجهات والخلفيات التي ينـطلق منها هؤلاء , ذلك أن الأساليب تختلف في استخدامها للمحاكاة كالملحمة والمأساة وغيرها ....ثم مع تطور الزمن أصبح " مصطلح الشعرية " من المصطلحات الحديثة , حيث يدرس في مجال الدراسات النقدية المعاصرة .

أما في كتب التراث فهو متعدد الدلالات " ففي كلام ابن سينا يجعل للشعر في قوة الإنـسان شيـئان أحدهما الإلتذاذ بالمحاكاة والآخر :حب الناس للتأليف المتفق والألحان " (3)

هذا وقد تحدث في كتابه "الشفاء" "عن ترتيب الشعر وموافقة الألفاظ لأنواعه , فالشعرية عنده تعـني قوانين نظم الشعر "(4),إضافة إلى قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني والآمدي ..وكلهم يعتمدون في نظرتهم لمصطلح"الشعرية"إلى مفهوم قوانين الخطاب لأدبي,حيث اقتصرت عند بعضهم على البحث

عن هذه القوانين التي تضبط جنس الشعر , انطلاقا من الموازنات التي انطلقت منذ الجاهلية والتي من روادها"النابغة الذبياني" إلى جهود"الخليل بن أحمد الفراهيدي"في استخلاص البحور الشعرية , وتستمر مع "قدامة بن جعفر"في محاولة تلخيصه جيد الشعر من رديئه ..وهكذا إلى جهود"عبد القاهر الجرجاني" من خلال "دلائل الإعجاز"والذي حاول فيه وضع نظرية النظم ,ويضاف إلى هذا بعض الإشارات التي تناولها عدد من شراح كتاب "فن الشعر" لأرسطو , والتي ربطت المفهوم بالمصطلح ,ويظهر ذلك خاصة مع "حازم القرطاجني " .

وعليه فإن الملاحظات النقدية التي أبداها القدامى حول "الشعرية " هي ما يلي :

1-أن مصطلح "الشعرية" عندهم كان أقرب إلى دراسة جنس الشعر ,ولعل ارتباطه عند العرب بحياتهم السياسية والإجتماعيةوالنفسية هو الذي جعله يتطور ويتعدد في ممارستهم له حسب طريقة عرض المبدع لنصه في أي مجال أراد .

2-ارتبط مصطلح "الشعرية" كذلك منذ زمن مضى (في القرن 5هـ) بالقوانين التي تضبط سلامة النص الأدبي من الوقوع في تحريفه وتزييفه منذ أن انضبط بالنظم الذي جاء به عبد القاهر الجرجاني .

3-دراسة النص الأدبي من الـداخل واستكناه كوامنه ودلالاته , مع تفاعل جـــنس الشعر مع القارئ (النص مع المبدع) , (المبدع مع المتلقي) , جعل مصطلح "الشعرية" يقترب من علم مستقل بذاته هو نظرية التلقي أو نظرية القراءة .

وعلى ذكر هذه العناصر الهامة,نجد حازم القرطاجني يتحدث في موضع آخر من كتابه عن دور المتلقي وأهميته في هذه العملية إذ يقول : " **فتحرك النفوس للأقوال المخيلة إنما يكون بحسب الاستعداد وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها وما تدعم وتعضد مما يزيد به المعنى تمويها والكلام**

حسن ديباجة من أمور ترجع إلى لفظ أو معنى أو أسلوب ...وليست تبلغ الغاية القصوى من هز النفوس وتحريكها ,بل تؤثر فيها بحسب ما تكون عليه ,درجة الإبداع فيها , وبحسب ما تكون عليه الهيئة النطقية المقترنة بها , وبقدر ما تجد النفوس مستعدة لقبول المحاكاة والتأثر بها"(5)

فهو هنا يركز أساسا على اللغة الجميلة , والتي تجعل من الموضوعات المخيلة أساسا لتحريك النفوس واهتزازها وتأثرها , بشرط ارتقاء المحاكاة أو الخيال إلى المستوى الغير عادي وما يترتب عليه من إحراز شرف الأدبية في النص , من خلال عناصر الكلام الرئيسية وهي : اللفظ والمعنى والأسلوب , ولكي يتحقق الأثر في هز النفوس يتوقف على النص المبدع بحد ذاته ,وعلى اللغة المستعملة في شكل النطق بها,وعلى الجهوزية التامة لقبول هذا الإبداع من خلال الاستعداد التام على أصعدة مختلفة ,كالاستعداد النفسي والفكري والاجتماعي , وكلها تدخل ضمن شروط قبول عملية التلقي وخاصة في مجال الشعر. وعليه فإن حازم القرطاجني " وقف عند الخيال وقفة ناقد متأنية ,مع أنها وردت في معرض بحث بلاغي معقد, فيه تبرز طموحاته الفنية وتصوراته الكلية وفهمه لمهمة العمل الأدبي .."(6)

ففي النص تأصيل واضح لمنشأ الشعرية العربية التي اختلفت رؤيتها لها عن رؤية الغرب , حين يعترف "حازم " صراحة , بأن شعريتهم قديما كانت ألصق بالبلاغة في تكوينها الداخلي , وفي هيمنتها على النصوص الأدبية بجعلها متماسكة ومتراصة بشكل يتلاءم مع بنياتها السطحية والعميقة,وعلى مستويات اللغة بدء بالصوت والصرف إلى النحو والدلالة , وهي بذلك لا تشكل خطرا أو عائقا أمام الخطاب الذي تعبر به اللغة سواء كان منظوما أو منثورا ,إذا لجأت الشعرية إلى الصور التخييلية لتنتهك قدسية العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول أو بين اللفظ والمعنى , في نسيج النص البنيوي العام باختراق قواعد الجنس الأدبي . ثم إن الشعرية (*) التي أولى لها القدامى عناية بالدرس والوصف هي تلك التي تقع على

البديهة والارتجال في القول من حيث أنه طبع وفطرة , وليس فيه تصنع أوتكلف ...فالسليقة هي التي تحكم قوانين الشعر قبل الحكم على الاستعمال الخارق للعادة ... وقبل الحكم على القول بـإخضاعه لقواعد اللغة .

فالمتحكم هنا هو الممارسة الفذة لأصحاب الملكة اللسانية التي ارتبطت بعادات وثقافة العرب وتاريخهم وهذا المتلقي الذي يتبادل الأدوار معه في قدرته على الفهم والاستيعاب والتأويل ..

أما النص باعتباره مدونة مكتوبة,فهي المرجعية التي لا نستغني عنها , خاصة إذا تحركت فيها كوامن تلك الأحداث التي تتفاعل مع الأطراف بشكل مساو ومتوازن..مع ما يشوب النص من خلفيات طالما كانت متصلة بالمجتمع والفرد ليستقبلها المتلقي الواعي ويرسخها حالا في ذهنه "فالنص باعتباره منتميا إلى جنس أدبي محدد , هو لا يعـدو نفسه , وفي الوقت نفسه لا يخلو من سيرورة ما وفعل وحـركة , وهو فوق هذا وذاك يجمع بين نظامين مختلفين :نظام خارج لغوي, ونظام داخل أدبي,فالأول مؤلف من رموز وعلامات يفترض فيها أنها متقاطعة أو متماسكة بدلائل تحيل إلى عوالم خارجية ,بينما الثاني يقدم لنا واقعا محتملا وما يربط النظامين معا من عناصر ائتلاف واختلاف لا ينهض بأدوار مجانية فيما بينها وبين وظائفها من جهة ,وبينها وبين المجموع الذي تتعلق به وتدل عليه من جهة أخرى "(7)

فارتباط الشعرية بنظرية التلقي والقراءة,لعبت دورا هاما في تحديد هوية النص وتصنيفه وخاصة إذا اشترط فيها عنصر التفاعل والتحريك , وهما عنصران يجعلان النصوص الأدبية حية وخالدة .

-مقومات الشعر عند حازم القرطاجني:

1)- اللفظ والمعنى :

هي من أهم مقومات الشعر عنده حيث تناولها على أنها مسألة متعلقة ب"المادة والصورة" ,كما يعالجها

في ظل فهمه للشعر , وهو فهم يقوم على أن الأساس فيه "**إنما هو التخييل في أي مادة اتفق ..... لأن الشعر هو جودة التأليف وحسن المحاكاة** "(8) وعلى أن الشعر " **لا تعتبر فيه المادة , بل ما يقع في المادة من تخييل** "(9)

فالشعر هو جودة التأليف وعرض حسن للمادة المشحونة بالتخييل من خلال ممارسة اللفظ و المعنى واتقانها .ومن جماليات استعمال اللفظ كقالب لحمل وعاء المعنى هو توضيحه في عبارات تؤثر في النفس سواء كان صياغة أو بالإشارة إليه . ولعل كلامه في هذا المقام عميق ودقيق حين يقول : " **إنه لما كان للنفس في اجتلاء المعاني في العبارات المستحسنة من حسن الموقع الذي يرتاح له ما لايكون لها عند قيام المعنى بفكرها من غير طريق السمع , ولا عندما يوحي إليها المعنى بإشارة , ولا عندما يجتليه في عبارة مستقبحة , ولهذا نجد الإنسان قد يقوم المعنى بخاطره على جهة التذكر وقد يشار إليه وقد يلقى إليه بعبارة مستقبحة فلا يرتاح له في واحد من هذه الأحوال ,فإذا تلقاه في عبارة بديهة اهتز له وتحرك لمقتضاه** .."(10)

ثم هو هنا يولي عناية بالنص الشعري الذي تهتز له النفوس ويحرك الوجدان من حيث قدرته على شحن المعاني بالصور والبيان . يقول :" ...**وحيث أن تكون الأقاويل الشعرية أشد الأقاويل تحريكا للنفوس لأنها أشد إفصاحا عما به علقت الأغراض الإنسانية , إذ كان المقصود بها الدلالة على أغراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علقة** "(11)

فالعبرة –حسبه– لا في المعاني التي يعالجها الشاعر في شعره ,بل بالصورة التي يعبر بها عنها .."فالعبارة الشعرية تتميز عنده بأنها لا تقدم المعنى مجردا عن لواحقه بل تقدمه معها , ولما كانت هاته لا تنفك بالطبع عن رغائب النفس وميولها , فإن من المنطقي، أن تحدث بحكم هذا الاتصال هزة "(12) في

النفس وتحريك في الوجدان والعواطف .

2)- حسن النظم والأسلوب :

تحدث حازم القرطاجني عن الأسلوب الذي تعلق عنده بتحليل الخطاب وبأدواته الإجرائية , متـخذا من نظرته الفلسفية طريقة لتوضيح العــلاقة الموجودة بين الكلام وطريـقة أدائه عن طريق الأسلوب فـإذا كان "عبد القاهر الجرجاني متوقفا عند الجملة والعبارة فإن حازم جعل لدراسة الأسلوب منهجا خاصا,وجعل النظم شاملا للعملية الإبداعية من بدايتها إلى منتهاها إذ حاول بذلك كسر الحاجز الفكري الذي صنعه عبد القاهر بتوقفه في دراسة النظم عند حدود الجملة الواحدة أو ما في حكمها ."(13)

هذا وإن من مميزات البراعة في الكلام , هو حسن الإيجاز الذي يعتبر من القول البليغ الذي صاحبه ,فلا تجاوز لحدوده ولا تقصير فيه , و في هذا يشرح تفاصيل حسن التقديم والاستهلال بقوله :"**وليس يحمد في الكلام من الخفة بحيث يوجد فيه طيش ,ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار,لكن المحمود من ذلك ما له حظ من الرصانة لاتبلغ به إلى الاستثقال وقسط من الكمال لا يبـلغ به إلا الإسآم والاضجار , فإن الكلام المتقطع الأجزاء المنبتر التـراكيب غير ملذوذ ولا مستحلى , وهـو شبه الرشفات المتقطعة التي لا تروي غليل,والكلام المتناهي في الطول يشبه استقصاء الجرع المؤدي إلى الغصص , فلا شفاء مع التـقليل المخل ولا راحة مع الــتطويل الممل ولـكن خير الأمـــور أوساطها**"(14)

فمن مميزات الشعرية ومقومات هذه الصناعة أنها تحتاج إلى البراعة والبداهة والتفطن.فهذا العالم لديه رؤية عــميقة في احتوائه لمقومات الشعر كما لغيره من الذين سبقوه في دراساتهم النـقدية القديمة ..حيث عد هذا الكاتب الفذ من الأوائل الذين أصلوا لشعرية البلاغة وبلاغة الشعرية في التراث العربي القديم .

ثم إنه وقف عند تعريف واف وشامل لجمالية الشعر الذي ينطلق من جمالية الــنظم وذلك في قوله:

"هو حسن المأخذ حيث يتجلى في الاستمرار والاطراد والاثلاج في الكلام من مدخل لطيف وهيئة متميزة , فيوجد للكلام –بذلك– طلاوة وحسن موقع في النفس "(15)

ولما كان هذا هو حال الكلام في مدى تأثره في النفس بفعل الأسلوب والنظم معا "وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ , ذلك أن الأول يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جــهات غرض القول ....فكان بمنزلة النظم في الألـفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات "(16)

ويبقى عنصر الخيال هوالمتحكم في عملية الإبداع عنده ,وهو المؤشر الوحيد لتقييم الشعر من ناحية جمالية أو قبحه,حيث إنه يحدد في دراسته له بأنه يتبع سبلا أربعة للحكم عليه.يقول في هذا الصدد:

"وقوع التحسينات والتقبيحات في التخاييل الشعرية إنما يسلك طريقا من هذه الأربعة وهي : الدين والعقل والمروءة والشهوة "(17) ولعلها المعايير التي قد تجعل المتلقي ينحاز لعمل دون آخر حسب توجهه واعتقاده وفكره وكذا حسب شهامته وغرائزه مع ميوله النفسي وعاطفته المتدفقة ..وبما أن " الشعر يحاكي الأشياء والقيم والأفعال فإننا نقول إن القصيدة تقدم لنا صورا تربط بعالم الأشياء والأفعال والقيم ,ارتباطا لاشك فيه,لكن هذه الصور ليست هي الواقع الحرفي,وإنما هي الواقع معدلا لفعل المحاكاة ..في هذه الحـالة لن نرى عالم الواقع بأعين محايدة وإنما بأعين القصيدة نفسها ما دمنا واقعين تحت أسرها "(18) . وقد جمع في موضع آخر من كتابه ,عناصر قيام الشعرية عنده عن طريق التخييل دائما ,وهي المذكورة هنا من لفظ ومعنى وأسلوب ونظم ,بقوله :**"التخييل أن تمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه , وتقوم في خـياله صورة يــنفعل لتخيلها**

وتصورها أو تصور شـــيء آخـــر بها انـــفعالا من غير رويـــــة إلى جهة من الانبـــساط أو الانقباض"(19)

3)– الوزن والقافية :

اللفظ هو أداة بارزة في العملية الشعرية,يتمكن منها الشاعر إلى إنشاء"كلام موزون مقفى مـن شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها,ويكره إليها ما قصد تكريهه,فإن التحبيب أوالتكريه يتحققان –إذن–بعدة وسائل منها تأليف الكلام ,ومنها بطبيعة الحال "الوزن""(20) الذي تحدث عنه الباحثون القدامى والمحدثين , حين أولوا عناية بدراسة الأغراض الشعرية وخاصة دراستهم لتشكـــيلها الإيقاعي وبنيتها الموسيقية ولكن من نواحي مختلفة منها:علاقة الوزن بالموضوع أو بالنص الشعري ولأنها"مسألة وقف عندها النقاد القدامى , فقد اختلفوا حولها ,فمنهم من قال إن لمن تمام الوزن أن يكون مـناسبا للغرض,فرب وزن يناسب غرضا آخر, ومن التخييلات والمعاني ما يناسب الأوزان الطويلة ,ومنها ما يناسب القصيرة "(21) وفي هذا يقول حازم القرطاجني :" **ولما كانت أغراض الشعر شتى , وكان منها مـا يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهـزل والرشاقة , ومنـها ما يقصد به الصغار والتحقير , وجب أن تـحاكي تلك المقاصد لما ينـاسبها من الأوزان وتخيلها للنفوس , فإذا قصد الشاعر الفـخر حـاكى غرضه بالأوزان الفـخمة الباهية الرصينة ,وإذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفاف وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء وكذلك في كل قصد** "(22)

فالفاصل حول تمييز العمل الرديء من الجيد,هو في حسن إقامة الوزن وإنشائه بطريقة يسهم فيها إلى تصنيع المحتوى لإبراز مضمونه بشكل ينم عن قوة خارقة للشاعر صانع الأوزان , وعن قدرته

كذلك لتشكيل الإيقاع نظرا لقربه من الجنس الأدبي المرهف والذي امتاز به الأوائل أمثال الخليل وغيره ,ذلك أن "الأوزان التي هي أجزاء إيقاعية ,تمثل عنصرا من العناصر المولدة للشعرية وليست مجرد هياكل خارجية تحيط بالألفاظ والمعاني ,لأنهم جميعا أقاموا الفرق بين الكلام الشعري والكلام العادي المعقود بالقوافي "(23)

وملخص القول فإن من صفات الشعرية المذكورة عنده ما يلي :-

1)- صفة الشاعر :باعتباره باثا متكلما كاتبا مبدعا تبدأ به عملية التلقي .

2)- صفة الشعر :الذي هو أصل المدونة المعروضة والتي مضامين كلامها يكون مـوزون مقفى .

3)- صفة اللفظ وتلاحمه مع المعنى , والذي يجب أن يتسم بالنظم بمراعاة العلاقات المعنوية (من نحو وصرف ودلالة ...) لتحقيق التأليف والانسجام .

4)- صفة الشعرية بحد ذاتها والتي تظهر جليا في حسن الصياغة ومكنة التصوير وجودة الأداء ليتحقق التخييل كسمة من سمات الشعر .

وحازم بذلك يرى أن من عوامل إبداع الشعر ,ثلاثة تحيط به وهي كما يقول:**"المهيئات والأدوات والبواعث :فالمهيئات ترتبط بالبيئتين الطبيعية واللغوية ,والأدوات تتصل بعلوم الألفاظ وعلوم المعاني أما البواعث فترتبط بالأطراب والآمال "(24)**

فمن أهم الملاحظات التي نستنبطها من النص ما يلي :

1)- يتحدث عن بيئة الشاعر التي جعلته موهوبا عن طريق السليقة والطبع ,وعن طريق الإكتساب (موطن الإنشاء) والإبداع هي البيئة التي نشأ فيها المبدع , فهي لا تخرج عن مجتمعه فأفكاره وليدة ما عاشه الشاعر أو هي انعكاس لمجتمعه من باب التأثر والتأثير ..

2)- مراعاة البيئة اللغوية ,وهي تلك الظواهر التي نستنتجها من الشعرية في الكلام منها المناسبة والملاءمة وحتى الاتساق والتماسك بين اللفظ ومعناه .

3)- ما يظهر على كلامه أنه استعمل المتضادات والمتقابلات في الكلام من باب التقسيم المنطقي للفلاسفة ..كالسلب والإيجاب ,العدم والإيجاد. وهكذا منها قوله :ما تتصل بعلوم الألفاظ ومنها ما تتصل بعلوم المعاني ..

-فعلوم الألفاظ يعطيها أولوية لمعرفتها , ذلك أنها تعني المعجمية أو المعاجم , مع ضرورة ربطها بالمستوى الصرفي والصوتي

-أما علوم المعاني :فارتباطها يكون أشد في مستوى البلاغة المعنوية , وخاصة عند استعمال هذه المعاني قصد التلاعب بها من باب الإبهام والغموض . ولعله أصعب الطرق للوصول إلى فهمها في باب المعاني البلاغية العربية منها:الدراية بباب الفصل والوصل,الأمر والنهي ,الاستفهام ,التعجب وكل أساليب الكلام الظاهرة منها والباطنة .

وفي الأخير نستطيع القول :"إن حازم القرطاجني انطلق معالجا قضايا الشعر العربي في عصر شهد العديد من الاضطرابات السياسية والثقافية وسجل انتكاسة الإبداع ,وفي "منهاجه" حاول تصحيح هذا الوضع وتقويمه وبمشروعه هذا بلغ النقد والبلاغة إلى مستوى من النضج والاكتمال ."(25)

-المصطلحات النقدية والأدبية ذات الصلة بالشعرية :

1)- مصطلحات :المخيلة /المحاكاة/التخييل /القوة المتخيلة ..

يقول حازم القرطاجني :"**فما كان من الأقاويل القياسية مبنيا على تخييل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعد قولا شعريا** ..."(**26**)

فالتخيـيل والمحاكاة متساويان في الحكم على العمـــل الإبداعي , فـهو يرى هنا " أن الشعر لابـد أن يقترن بالمحاكاة التي قوامها النظر والتخيل والتخييل ,وهذا التخيل قد يعني تخيل واقع كان ويكون ويمكن أن يكون ,أي يعني المحاكاة نفسها ,لا على أنها المماثلة وإنما على أنها إيراد مثل الشيء وليس إياه"(27) وهو في موضع آخر يقول :" **وليست المحاكاة في كل موضع تبلغ الغاية القصوى مـن هز النـفوس وتحريكها بل تؤثر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها ,وبحسب ما تكون علـيه الهيئة النطقية المقترنة بها , وبقدر ما تجد النفوس مستعدة لقبول المحاكاة والتأثر لها** "(28)

فشرط المحاكاة هنا بقدر إسهام المبدع وإظهاره لعمله ذلك أن " أدب التخييل يفـــرض بشكل أساسي بواسطة الخاصية المتخيلة لموضوعاته,فيكون بذلك التخييل نمطا من الأدبية أو مظهرا من مظاهرها والنص أو الأثر الإبداعي لايحقق أدبيته إلا إذا استعمل وبصورة خاصة الوسيط اللساني "(29)

2)– مصطلح الشعرية :

يرى الدارسين أمثال "حسن ناظم" أن مصطلح " الشعرية " بالمفهوم المتـداول والذي يعني الـبحث في قوانين الخطاب الأدبي ,كان موجودا عند حازم وذلك من خلال قوله :" **وكذلك ظن هذا أن الشعرية في الشعر ,إنما هي نظم أي لفظ كيف اتفق نظمه وتضمينه أي عرض اتفق على أي صفة اتفق لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع** "(30)

فحسن ناظم يعلق عن هذا القول بأن "معنى لفظ الشعرية يقترب إلى حد ما من معناها العام أي قوانين الأدب ومنه الشعر "(31) وعليه فإن الشعرية "تعمل على تعيين نظرية داخلية في الأدب ,ترتبط قبل أي شيء بتعريف ماهية الأدب ..كبنية مجردة,إن الشعرية بخلاف تأويل الأعمال النوعية في حقل الدراسات الأدبية لاتسعى إلى تسمية المعنى ,بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل"(32)

فالمصطلح يطلق بعد إنشاء هذا العمل للحكم عليه "وما نستنطقه هو خصائص هذا الخطاب البنيوي الذي هو الخطاب الأدبي ,وكل عمل عندئذ لايعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة ,ليس العمل إلا إنجازا من إنجازاتها الممكنة "(33) .إضافة إلى أن التسمية عنده تنطلق من نظم الشعر بذاته , من حيث هو صناعة كلامية بدء باللفظ إلى المضمون وذلك بمراعاة القوانين التي تضبط عملية الشعرية .

3)– مصطلح "المقاصد" من الكلام :

حين تحدث عن تقسيم القصيدة إلى أقسام تجعلنا نستنبط أغراضها بطريقة سهلة وبسيطة , لكنها متسقة ومنسجمة مع بعضها البعض , و كأنها وحدة واحدة لاتتجزأ رغم سماتها التركيبية فهو يقول بالتناسب وبالوحدة في التنوع كما أطلق عليه بعض الدارسين . ولعل هذا النص يوضح هذا المغزى : يقول:" ..**اعتمدوا في القصائد أن يقسموا الكلام بها إلى فصول ينحى بكل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمة الكلام إلى تلك الفصول والميل بالأقاويل فيها إلى جهات شتى من المقاصد وأنحاء شتى من المآخذ استراحة واستجداد نشاط بانتقالها من بعض الفصول إلى بعض وترامي الكلام بها إلى أنحاء مختلفة من المقاصد ..فالراحة حاصلة بها لافتنان الكلام في شتى مذاهبه المعنوية وضروب مبانيه النظمية** .."(**34**) فهو هنا يقر بوجود التناسب وذلك في " عناصر القصيدة المتغايرة ذات الضروب المختلفة من الكلام , لكنها تخضع في النهاية إلى مقاييس جمالية تحقق لها نوعا من الترابط والتداخل ,بما يسمى بوحدة التجربة الشعرية "(35)

هذا وإنه في موضع آخر من كلامه يقول "بالوحدة في تنوع القصيدة , ويرى في التنوع جمالية , فهو لا يقف حائلا دون تحقيق الوحدة "(36) يصف ذلك بقوله :" **إن الحذاق ..لما وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال , ووجدوها تستريح غلى استئناف**

الأمر ....."(**37**) . إنه هنا يمس شغاف القلوب حين يقترب من أحاسيس الناس ومشاعرهم الموغلة في أعماق النفس التي تكره الرتابة والسكون في الحال ,وتحب التجدد والانتقال ,وكأنه بهذا النص يذهب بنا إلى استنباط حقيقة الشعر وماهيته ومعناه .فالشعر حسب أحد الباحثين "مشتق من الشعور ,فكل ما يجعلنا نشعر أو نتحسس وجدنا ووجودنا ,من أية جهة من جهاته فهو شعر حقيقي دون ريب .ومما هو في حكم المؤكد أن الشعور البشري ,حتى في مستوياته العظمى ,شديد التنوع كثير المنازع ,وغني بالمحتويات ..ولكم كان حازم القرطاجني سديد الرأي ,حين ذهب إلى أن أول الدوافع إلى إنتاج الشعر هو الوجد والشوق والحنين إلى النائيات"(38)

4)–مصطلح التعجيب :

ارتبط مصطلح "التعجيب" عنده –كذلك– بالتخييل حين قال :" **والقول المخيل قلما يخلو من التعجيب,بل كأنه مستصحب له من أقل ما يمكن من ذلك في القول المخيل إلى أكثر ما يمكن والتعجيب في القول المخيل يكون من جهة إبداع محاكاة الشيء وتخييله ..ويكون من جهة كون الشيء المحاكى من الأشياء المستغربة والأمور المستطرفة**...."(**39**)

فالتعجيب الذي أخذه حازم من أسطو في كتابه "فن الشعر" إنما يعني به الكثير من الكلام الغريب والغامض أو حتى المستعمل فيه الخيالات المجازية "فهي وسائل تفضي إلى خطاب شعري عجيب,وبذلك تتغير خاصية المعنى الشعري من الوضوح ومقاربة الحقيقة والعادة في إطار شعرية الألفة التي نظر لها النقاد المحافظون إلى خاصية أخرى قائمة على مفارقة الحقيقة وإدهاش المتقبل في إطار شعرية الغرابة"(40) يقول:" **وكلما اقترنت الغرابة والتعجيب بالتخييل كان أبدع** "(**41**) ذلك أن هذا الذي يستعمله الشاعر مرجعه إلى تعمد إثارة المتلقي بالإتيان بالغموض الذي يأخذ النفس إلى الاستكشاف ويحركها

إلى الانبساط أو الانقباض ,ذلك أنها تريد دائما شيئا غير مألوف تغامر بواسطته إلى متاهات البحث والتنقيب متخذة من التخييل أو الخيال وسيلة إلى فك رموز الغرابة والغموض .

ثم هو في موضع آخر يشترط شرطا يميز به الدارس فن الخطابة عن فــن الشعر بقوله :" **فما كان من الأقاويل القياسية مبنيا على تخييل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعد قولا شعريا ..وما لم يقع فيه من ذلك بمحاكاة فلا يخلو من أن يكون مبنيا على الإقناع** "(42)

-الشعرية والتلقي :

لاتتحقق بلاغة الشعرية عند النقاد والأدباء إلا بوجود المتلقي ,وقد تعددت اصطلاحات "المتلقي" عند هؤلاء منها :السامع ـــــــــــالقارئ ـــــــــــــ ضمير المخاطب ـــــــــــ المتأثر ...إلخ

بينما يستخدم حازم القرطاجني مصطلح النفس والنفوس أين "سجلت هذه المادة –عنده–حضورا لافتا للنظر مرده لغزارة ورودها مقارنة مع باقي مواد حقل التلقي اللغوي ,حيث بلغ عددها 342 كلمة وهي نسبة تبرز بجلاء عناية ناقدنا الشديد بموضوع التلقي ,لأن النفس تتبوأ مكانة سامية في مجال التلقي باعتبارها الذات المتلقية من جهة والمعبرة عن آثار التلقي من جهة ثانية "(43) ومن هذه الآثار :تحريك النفوس حسب الاستعداد ,مع تحديدها حسب الرغبات والمقاصد من الكلام .. وكل هذا موجود في طيات كتابه منها قوله :"**فتحرك النفوس للأقوال المخيلة إنما يكون بحسب الاستعداد " " وليست المحاكاة في كل موضع تبلغ الغاية القصوى من هز النفوس وتحريكها " "...وبقدر ما تجد النفوس مستعدة لقبول المحاكاة والتأثر لها**"(44) وقوله :" ..**إن الحذاق لما وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة** ...(45) وقوله : "..**ينحى لكل فصل منها منحى من المقاصد ليكون للنفس في قسمةالكلام إلى تلك الفصول والميل فيها إلى جهات شتى من**

المقاصد .."(**46**) ومنه كذلك :" ..**كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ,ويكره إليها ما قصد تكريهه** .."(**47**) " **وللنفوس إلى مل بلغ هذه الغاية تحريك شديد** .." (**48**) . والملاحظ هنا أن " حضور العامل النفسي في قبول المعاني أو رفضها هو مطلب أساس عند حازم القرطاجني ,إذ هو الذي يعطي للتخييل مكانه في مفهوم الشكل ووظائفه "(49) يقول :"**فإن للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكا وإبلاغا بالانفعال إلى مقتضى الكلام** ....."(**50**)

ومن هذه النصوص نستشف مدى تلاقي نظرة الغرب للشعرية ,مع النقاد القدامى خاصة إذا تعلق الأمر بالمتلقي أو النص ,حيث يشترط في هذه العملية إجادة انتقاء اللفظ للمعنى ,ذلك أن حازم يؤكد في موضع آخر من خلال حديثه عن حسن التلقي لحسن اختيار الألفاظ قائلا :"**إن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها وتركب التركيب المتشاكل وتستقصي بأجزاء العبارات التي هو الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها حتى تكون حسنة إعراب الجملة والتفاصيل على جملة المعنى وتفاصيله** "(**51**)

ولأنها تخدم بالدرجة الأولى متلقي النص فإنه يمكنه " أن يستشعر الشعرية فيه ..وهذا هو الأهم ... مادامت هي محصلة للتواصل مابين النص الشعري ومتلقيه ,ومادام هذا التواصل ..لايـفارق الكيفية التي يصار إليها في تقديم الموضوع الذي ينطوي عليه النص نفسه .."(52) فشرط تحقق الشعرية كذلك هو حسن التهيئة والاستعداد التام للتلقي ,فهذا الشرط هام جدا وهـــو يعتبر غرض نافع من أغراض الشعر المختلفة ,يقول : "**هي الهيئات النفسية التي ينحى بالمعاني المنتسبة إلى تلك الــجهات نحوها ويمال بها في صفوها لكون الحقائق الموجودة لتلـــك المعاني في الأعيان مما يهيء**

النفس بتلك الهيئات ومما تطلبه النفس أيضا أو تهرب منه ,إذا تهيأت بتلك الهيئات"(53)

فأغراض الشعر –إذن– متوقفة على تعدد الأساليب فيها ,منها العامل النفسي الذي يؤدي إلى التجديد في الأسلوب ,يقول عن "النفوس" ما يلي :

–النفوس : " **تحب الافتنان في مــذاهب الكلام , وترتاح لنقله من بعــض ذلك إلى بعض , ليتحدد نشاطها بتحديد الكلام عليها "(54)**

–وأن النفوس :" **تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال ..وتستريح إلى استئناف الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء"(55)**

–وأن النفوس شيمتها :"**الضجر مما يتردد والولع بما يتجدد "(56)**

وفي الختام نستطيع أن نخلص إلى أن "ألفاظ مثل :"النفس" ,"النفوس" ,"الأنفس" والتي كانت تتردد في كتابات النقاد هي ذات صلة واضحة بالتلقي إذا انطلق النقاد من علم النفس القديم في مخاطبة المتلقي سامعا أو قارئا بلفظ (النفس) وهو يوحي بدلالات كثيرة منها :أن النفس تثير إلى الانسان ومشاعره الداخلية وأعماقه ,فكأن الخطاب الأدبي موجه إلى جوهره لاإلى السطح أو الظاهر..."(57)

وعليه فإن من شروط الشعرية المتزنة عنده :

1)– "**أن يعتبر في ترتيب التخاييل والأوصاف "(58)**

2)– " **ضرورة الالتزام بقوانين العرب في الكلام "(59)**

3)– ضرورة أن يكون الكلام ذا "**نظام متشاكل وتأليف مناسب "(60)**

4)– ضرورة مراعاة العرف في استخدام الألفاظ .

5)– ضرورة مراعاة الصحة في المعاني .

خاتمة :

في مقولة "الشعرية"التي حصرناها في نصوص "حازم القرطاجني" من خلال مدونته "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" اتضحت لنا جملة من مواصفات الشعر عنده , وخاصة أثناء توظيفه لمصطلحاته وما تحمله من معارف كانت أقرب إلى الفلسفة والحكمة منها إلى فن الأدب والنقد .

وسنجمل هذه السمات في شكل نقاط كالآتي :

1-الشعر:شعور نفسي نابع من تجربة إنسانية معاشة , شديدة العمق وعميقة الأغوار والأسرار فهو روحاني المنبع وجداني الاعتقاد .

2-من ناحية إنتاج الشعر وإنشائه ,كمصدر اجتماعي ومصدر أخلاقي تتحكم فيه القيم كؤشر على صلابته وديمومته وسرعة تأثيره على الآخرين, ذلك أنه كما قيل كلما كان النص أكثر إيغالا في داخلية الإنسان كان أعلق في النفس وأكثر قدرة على التأثير فيها .

3-الشعر اكتشاف لطاقات اللغة في توظيفها لأعلى مستوياتها ,يكسب النص شعريته بديمومة متواصلة تجعل الأجيال تتعارف فيما بينها زمانا ومكانا .

4-يعبر"حازم"عن مسألة الانفعال والتأثر وهو ما يقابله "الذوق"أو "الذائقة" كمصطلح نقدي حديث من خلال تذوق النص الأدبي سواء كان شعرا أو نثرا ,فيصبح جزء من الذائق لهذه الفنون .

وفي الأخير يمكننا أن نتمثل مقولة الشعرية عند حازم القرطاجني من هذين المخططين :

*إبداع شعري ـــــــ تذوق ـــــــــــ إمتاع النفس واستئناسها ـــــــــــ راحة ونشوة.

*الشعر ينبع من الوجدان ـــــــــــــ طاقة تعبيرية تحقق قوة الخيال .

الإحالات:

1)- حـازم القـــــــرطاجني , منهاج البلغاء وسراج الأدباء , الحبيب بـن الخوجة , دار الـكتب الشرقية,ط1966, ص88-89.

2)- عماد عبدالوهاب الضمور,مقال :"أثر نظرية التأويل في صياغة الشعرية المعاصرة" , (من كتاب: المرجعيات في النقد والأدب واللغة ,إشراف:ماجد الجعافرة, مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر(2010), م1 ,عالم الكتب الحديث ,ط1(2011),ص84-85.

3)- المصطفى سلام,مقال:"التخييل في الفكر النقدي المعاصر" ,مجلة البلاغة والنقد الأدبي ,العدد2, الرباط ,2014-2015, ص50.

4)- المرجع نفسه ,ص50.

5)- حازم القرطاجني ,المصدر السابق ,ص121.

6)- أحمد كمال زكي ,النقد الأدبي الحديث (أصوله واتجاهاته) , دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت ,ص122.

*)- الشعرية التي تجعل من النص الأدبي خارقا للعادة وخارج عن الأسلوب المعتاد ,وهو الذي يسمى عند هـــــؤلاء القدامى بالتخييل من خلال محاولاتهم تغيير الواقع المعاش في إبداع شعري ما إلى واقع افتراضي خيالي .

7)- عبد الجليل مرتاض ,الظاهر والمختفي (طروحات جدلية في الإبداع والتلقي),ديوان المطبوعات الجامعية ,ط2005,ص118.

8)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق ,ص81.

9)- المصدر نفسه , ص83.

10)- المصدر نفسه ,ص118.

11)- المصدر نفسه ,ص22.

12)- المصدر نفسه ,ص22-23.

13)- أحمد شامية , في اللغة ,دار البلاغ للنشر والتوزيع ,ط1(2002),ص134-135.

14)- حازم القرطاجني , مصدر سابق , ص65.

15)- المصدر نفسه ,ص371.

16)- بشرى عبد المجيد تاكفراست ,مقال:" المرجع الفلسفي في نقد وبلاغة الغرب الإسلامي, حازم القرطاجني نموذجا ,(من كتاب المرجعيات في النقد والأدب واللغة , مرجع سابق ,ص363.

17)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق ,ص89.

18)- بشرى عبد المجيد تاكفراست , المقال السابق , ص341.

19)- حازم القرطاجني , مصدر سابق , ص89.

20)- أحمد الودرني , قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب (من الأصول إلى القرن 7هـ) ,دار الغرب الإسلامي ,بيروت ,ط1(2004), ص1026.

21)- نور الدين السد ,الشعرية العربية (دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي), ديوان المطبوعات الجامعية , الجزء 1, ط2007, ص82.

22)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق ,ص266.

23)- أحمد الودرني , مرجع سابق ,ص 1017.

24)- حازم القرطاجني , مصدر سابق ,ص40-41.

25)- عماد عبد الوهاب ,المقال السابق ,ص348.

26)- حازم القرطاجني , مصدر سابق ,ص67.

27)- أحمد كمال زكي , المرجع السابق , ص123.

28)- حازم القرطاجني , مصدر سابق ,ص121.

29)- المصطفى سلام ,المقال السابق ,ص65.

30)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق ,ص28.

31)- المصطفى سلام , مقال سابق , ص53.(نقلا عن كتاب :مفاهيم الشعرية ,حسن الناظم).

32)- عبد الجليل مرتاض ,المرجع السابق ,ص61.

33)- المرجع نفسه , ص61.

34)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق ,ص296.

35)- نور الدين السد ,المرجع السابق ,ص55.

36)- المرجع نفسه ,ص54.

37)- حازم القرطاجني , مصدر السابق ,ص295.

38)- يوسف سامي اليوسف , القيمة والمعيار (مساهمة في نظرية الشعر) ,دار كنعان ,دمشق ,ط1 (2000) ,ص25.

39)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق , ص127.

40)- أحمد الودرني ,مرجع سابق ,ص1057-1058.

41)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق , ص91.

42)- المصدر نفسه ,ص67.

43)- محمد بنلحسن بن التجاني ,التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدباء ",عالم الكتب الحديث ,إربد ,ط2011, ص148.

44)- حازم القرطاجني , المصدر السابق ,ص 121.

45)- المصدر نفسه , ص295.

46)- المصدر نفسه ,ص296.

47)- المصدر نفسه , ص71.

48)- المصدر نفسه ,ص127.

49)- عماد عبد الوهاب الضمور ,المقال السابق ,ص345.

50)- حازم القرطاجني , مصدر سابق ,ص63.

51)- المصدر نفسه , ص119.

52)- قاسم المومني , شعرية الشعر ,دار الكتاب الحديث ,ط1(2002), ص45.

53)- حازم القرطاجني ,مصدر سابق ,ص364.

54)- المصدر نفسه ,ص361.

55)- المصدر نفسه , ص296 .

56)- المصدر نفسه , ص61.

57)- محمد المبارك , استقبال النص عند العرب ,بيروت ,الطبعة 1(1999),ص33.

58)- حازم القرطاجني , مصدر سابق, ص103.

59)- المصدر نفسه , ص207.

60)- المصدر نفسه ,ص245.

قائمة المصادر والمراجع :

المصدر:

–حازم القرطاجني ,منهاج البلغاء وسراج الأدباء ,ت:محمد الحبيب بن الخوجة ,دار الكتب الشرقية, ط1966م.

المراجع :

–أحمد شامية ,في اللغة , دار البلاغ للنشر والتوزيع ,ط1(2002م).

–أحمد كمال زكي, النقد الأدبي الحديث (أصوله واتجاهاته),دار النهضة العربية للطباعة والنشر,بيروت.

–أحمد الودرني,قضية اللفظوالمعنى ونظرية الشعر عند العرب,دار الغرب الإسلامي,بيروت,ط1(2004

–عبد الجليل مرتاض,الظاهر والمختفي(طروحات جدلية في الإبداع والتلقي),ديوان المطبوعات الجامعية ط1(2005).

–قاسم المومني, شعرية الشعر ,دار الكتاب الحديث ,ط1(2002).

–محمد بن لحسن بن التجاني,التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" عالم الكتب الحديث ,إربد (الأردن) , ط2011, ص148.

–محد المبارك ,استقبال النص عند العرب ,بيروت ,ط1(1999).

–نور الدين السد ,الشعرية العربية (دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي),ديوان المطبوعات الجامعية ,ط2007, ج1.

–يوسف سامي اليوسف ,القيمة والمعيار (مساهمة في نظرية الشعر),دار كنعان ,دمشق ,ط1(2000).

المقالات والدوريات :

–بشرى عبد المجيد تاكفراست , المرجع الفلسفي في نقد وبلاغة الغرب الإسلامي , حازم القرطاجني نموذجا " من كتاب :"المرجعيات في النقد والأدب واللغة ,إشراف:ماجد الجعافرة ,مؤتمرالنقد الدولي13 , ط2010 , المجلد 1.

–عماد عبد الوهاب الضمور ,"أثر نظرية التأويل في صياغة الشعرية المعاصرة ",المرجع نفسه .

–المصطفى سلام ,"التخييل في الفكر النقدي المعاصر" ,مجلة البلاغة والنقد الأدبي,الرباط(2014–2015), العدد 2 .